التّعدد والتّنوع في التّراث الأمازيغي الجزائري: لهجات، عادات وطقوس تلمسان نموذجا

Plurality and diversity in the Algerian Amazigh heritage: dialects, customs and rituals of Tlemcen as a model

د/ إبراهيم الهلاليّ ⋆

د/ جمال الدين بابا⋆⋆

تاريخ الاستلام: 10 / 04/ 2021 / تاريخ القبـــول: 06 / 05/ 2021

ملخّص: تعالج هذه الدراسة مسألة التّعدّد والتّنـــوع في التّـــراث الأمـــازيغي الجزائـــري، والتّحديات والإشكاليّات والآفاق التّي يطرحها هذا الواقع، باعتبار التّراث متوارثا جيلا عن جيل، تبعث به الجماعات والمجموعات بصورة مستمرة ومتجددة، حسب ما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة ويتلاءم مع تاريخها وهو ينمـــي لـــديها الإحســـاس بهويتهـــا والشّـــعور باستمراريتها **الخلاصة** : إن الممارسات الثّقافيّة والاجتماعيّة لمنطقة تلمسان تمثّل نموذجا عن هذا الإرث العربي الأمازيغي الذي أعطى بعداً تاريخيا وحضاريا وجد فيه أبناء المنطقة هويتهم لغويّة كانت أم تاريخية، حيث لا تزال بعض المؤشرات والعادات واللهجات، والتّقاليّد ومظاهر الثّقافة الشّعبية، بمنطقة تلمسان ونواحيها، تتعايش مع غزو الثّقافات الوافدة عبر الوسائل الإعلاميّة المختلفة، ولم تذب كافة ولم تتقلص، فظلت محافظة على خصوصياتها الحضارية.

كلمات مفتاحيّة: تراث أمازيغي؛ تعدد وتنوع؛ لهجات؛ عادات وطقوس؛ تلمسان.

Abstract: This study deals with the issue of pluralism and diversity in the Algerian Amazigh heritage, challenges, problematic and prospects presented by this reality, as patrimony is inherited from generation to generation, sent by communities and groups continuously and renewed in accordance with its environment and interactions with nature and then fits with its history, it develops a sense of identity and a feeling of

❖ المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، الجزائر rahimhelali83@gmail.com (المؤلف المرسل)

❖❖ المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتـــــاريخ، الجزائر، abadjamel94@gmail.com

continuity.The cultural and social practices of the Tlemcen region represent an example of this Amazigh Arab heritage which some indicators, customs, dialects, traditions and manifestations of popular culture, in the region of Tlemcen, coexist with the invasion of incoming cultures through various media And despite all these, it remained preserving its specificities of civilization.

Keywords: Amazigh patrimony; plurality and diversity; dialects; customs and rituals; Tlemcen.

1.**مقدّمة:** يمثل التّراث الشّعبي أحد الروافد الأساسيّة للحفاظ على هويّة أمة من الأمم ومصدر اعتزازها بذاتيتها الحضاريّة في تاريخها وحاضرها، ولطالما كان التّراث الثّقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرا حيويا للإبداع المعاصر ينهل منه الباحثون، والفنانون والأدباء والشّعراء والرواة، فالجزائر تزخر بموروث شعبي ضخم وثقافة شفويّة راقية، أنتجتها التّراكمات الزمنيّة المتتابعة والحقب التّاريخيّة المتلاحقة.

هذا التّنوع والتّعدد ينعكس على مستوى الشّكل التّراثي الأمازيغي في نطاق الحدود والفواصل الجغرافيّة بين مختلف مناطق الجزائر، بل إن هذا التّنوع امتدّ إلى منطقة تلمسان ونواحيها، وانعكس أثر ذلك على مستوى اللهجات الشّعبية، وما لا يعدّ ولا يحصى من الحكايات، والمعتقدات والمعارف الشّعبية، والتّقاليّد المتنوعة وكل أشكال ثقافتنا الشّعبيّة الأصيلة.

لقد كان أمازيغ تلمسان عامة؛ وقبائل بني سنوس وبني بوسعيد خاصة ولا يزالون، امتداداً لقبيلة "زنّاتة" التّي تفرّعت عنها "الشّلحة" التّي يتحدّثون بها، ومن ضمن العادات التّي يعكفون على ممارستها كلّ سنة نجد الاحتفالات المنوطة برأس السّنة الأمازيغيّة التّي نذكر منها "يناير"، ويعتبر احتفالا يقام بعد مرور 12 يوم من بدء السّنة الميلاديّة خصوصا في القرى الجبليّة البعيدة نوعا ما عن مظاهر التّمدّن والمحتفظة بعادات "ينّاير"، إنّما يتمّ الإعداد لدخول السّنة الجديدة.

حيث لا تزال بعض المؤشرات، والعادات والتّقاليّد ومظاهر الثّقافة الشّعبيّة تتعايش مع غزو الثّقافات الوافدة عبر الوسائل الإعلاميّة المختلفة، ولم تذب ولم تتقلص، فظلت محافظة على خصوصياتها الحضاريّة ومن أهم العناصر الثّقافيّة الشّعبيّة التّي عرفتها المنطقة تمسكها بعاداتها وتقاليّدها كالنّفقة والمولد النّبوي الشّريف (سيد المولود)، وعارفة، والوعدة، والنّاير، والاحتفال برأس السّنة الأمازيغية(آيراد).

البعد الثّقافي الذي يحمله هذا التّعدد والتّنوع ليس فقط الاحتفال بعاداته وتقاليّده الملخصة في التّفاؤل بالسّنة الجديدة، وإعداد المأكولات الشّعبيّة وإعادة تأثيث المنزل بقدر ما هو الحفاظ على الانتماء العرقي والاجتماعي والتّفاخر من خلال العودة إلى التّاريخ من حيث بدأ من اجل استمراره ونقله إلى الأجيال، أي من خلال إسقاط الماضي على الحاضر، وأن الممارسات التّي يقومون بها كتظاهرات احتفاليّة ماهي إلا تعبير عن مدى حب سكان المنطقة ذوي الأصول الأمازيغيّة

لأرضهم ومدى تشبثهم بها، حيث جعلوا هذا اليّوم هو بدايّة تاريخهم وبدايّة السّنة الفلاحية.

لم تحظ هذه الممارسات بالتّوثيق العلمي المتخصص بحسب علمنا؛ إلا عند المستشرقين، وما سنذكره فيه بعض العناصر التّي اعتمدنا في أغلبها على ما احتفظت به ذاكرتنا عن هذه الممارسات كما شاهدناها في قرى: "بني عشير، دار عياد، بني زيداز، أولاد عربي، الخميس، وقرى بني بوسعيد عامة".

غير أنها وإن اختفت من مناطق معينة، فإنها ولحسن الحظ ما تزال حيّة في بعض المناطق أو أن بعضها كان ما يزال يحتفل بها إلى وقت قريب.

ولكن قبل الخوض في هذه الدراسة، يجب طرح التّساؤلات التّاليّة:

ما أصل سكان بني سنوس وبني بوسعيد؟ ومن هم أهلها الأصليون؟

كيف يتجلى التّعدد والتّنوع في التّراث الأمازيغي الجزائري عامة، والتّلمساني على وجه الخصوص؟

وكيف استطاعت بعض القرى وسكانها الحفاظ على اللهجة الأمازيغيّة (الشّلحة)، وعلى العادات والطقوس الممارسة؟

2. لمحة تاريخيّة عن المنطقة:

1.2أصل سكان بني سنوس وموطنهم: يعود أصل سكان منطقة بني سنوس إلى البربر، المنتمين إلى قبيلة زناته الكبرى التّي استوطنت في عصر الممالك البربريّة إقليم تلمسان كله تقريبا فاختلفت الآراء وتضاربت أراء المؤرخين، رغم اتفاقهم حول القبيلة الأم التّي ينتمي اليّها السّنوسيون وحول القبيلة الفرعيّة التّي انحدر منها هؤلاء، يرى البعض أن سكان بني سنوس ينحدرون من قبيلة بني حبيب، معللين ذلك بوجود آثار إقامتهم في المنطقة ويحفظ ذكراهم من طرف الأساطير (حمداوي، 2005).

ولما كانت هذه القبيلة قد استوطنت بني سنوس في القرن الثّامن الميلادي وكانت قبيلة بن يفرن التّي يذكرها النّسابة باسم بني يفري بني صلتين، قد استوطنت المنطقة قبلهم فيرى البعض الآخر أن سكان منطقة بني سنوس ينتمون إلى هذه الأخيرة. فقد كان بنو يفرن في عهد الفتح الإسلامي، منتشرين في افريقية، والمغرب الأوسط، ثم انتشروا في النّاحيّة الغربيّة لبلاد المغرب (حمداوي، 2005).

ويشكك ألفرد بل في هذا النّسب قائلا " أن يكون هؤلاء البربر الذين يسكنون اليّوم وادي تافنة والخميس من قبيلة بني حبيب... فإن ذلك مالا نستطيع الجزم". مرجحا ما ذكره ابن خلدون عن بني سنوس، إحدى بطون كوميه ولهم ولاء في بني كمي (الجماعة التّي ينتسب اليّها عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين). ولما فصل بنو كمي إلى المغرب (في عصر الموحدين، القرن الثّاني عشر) (ابن خلدون، 1992).

إن هذا النّسب إلى القبائل المختلفة في مراحل تاريخيّة مختلفة، لا يستبعد احتمال أن تكون هذه القبائل بعضها بطن من بعض، فينسب بني يفرن ليصلتين، وكوميه لبني يفرن وبني حبيب لكوميه، وبني سنوس لبني حبيب بهذا القدر من القرابة أو ذاك، ومهما يكن من أمر فإن الذي لا جدال فيه هو أن سكان بني سنوس يرجعون في نسبهم العام إلى قبيلة زناتة وهو ما لا يكتنفه اختلاف النّسابة والمؤرخين (بل ، 2001).

وتعد منطقة بني سنوس محل أنظار الاستعمار منذ القديم، نظرا لموقعها الآمن وأهميتها الاستراتيجية، وطبيعتها الجميلة، زد على ذلك كونها منطقة حدوديّة ومركز نشاط هام بين المغرب الأقصى والجزائر، ولهذا فان بني سنوس عرفت الاحتلال الروماني (بل ، 2001).

هذا الاحتلال الذي مازالتّ آثاره باقيّة بالمنطقة، كما هي الحال بالنّسبة للجزء الأعلى لوادي تافنة بقريّة تافسرة وفوق الجبل الموجود على يمين قريّة بني عشير وبني زيداز، حيث توجد الآثار والمعروفة إلى يومنا هذا بـ"قعدة الصور". وإذا كان بعض المؤرخين الفرنسيين ينسبونه إلى البربر لا إلى الرومان، بعض الآثار التّاريخيّة الموجودة بالمنطقة مثل: أسوار كديّة النّصارى أو برج الرومان، غار النّصارى، قعدة الصور، أوقرن العسة، أو تاقليعت فأنهم لا ينكرون مع ذلك أن يكون الرومان قد شيدوا في هذه المناطق بعض الأبراج العسكريّة للمراقبة أو كانت لهم بعض الاستثمارات لاستخراج زيت الزيتون.

وذلك ما أكده ماك كارثي، حيث لا يستبعد أبدا أن يكون الرومان قد سلكوا نفس السّبيل التّي سلكتها بعدهم فرنسا، استوطنها الرومان، واستوطنوا في منطقة تلمسان نفس الأماكن التّي استوطنها الرومان رغم اهتمامهم بالأماكن الموجودة في مصبات الأنهار، أكثر من تلك الموجودة في منابعها وأجزائها العليا (حمداوي، 2005).

لا شك أن الذين هاجروا من الجزيرة العربيّة إلى شمال إفريقيا من الفنيقيين، وهم الآخرون استوطنوا منطقة بني سنوس، وذلك نفسها للأسباب الطبيعيّة وهم الذين علموا البربر بمن فيهم سكان بني سنوس الأصليين: الزراعة والاعتناء بشجرة الزيتون (التّي كانت موجودة كشجرة وحشية)، وكيفيّة استخراج الزيت منها، كما علموهم زراعة التّينة، والكرمة، والرمانة وفن زراعة الأشجار المثمرة عموما، كذلك أخذ السّنوسيون عنهم الصناعات القابلة للتصدير كالصناعات الفخارية، وصناعة المعادن والنّسيج والمجوهرات (حمداوي، 2005).

2.2 أصل سكان بني بوسعيد: إنّ معظم سكان بني بوسعيد يرجع نسبهم إلى قبيلة زناتة، التّي ينحدر منها بنويفرن، وبنو عمان ومغراوة التّي تعد أكبر المجموعات المنحدرة من الزناتيين. وينحدر من مغراوة، كذلك بنو حبيب، وبنو سليت وبنو زندق وبنو وراق وبنو ورسيفان، والأغواط، وبنو ريغة، وعدد آخر من القبائل التّي يصعب تحديدها. وبنو حبيب هم الجدود الأوائل

لقبيلة بني بوسعيد... والأراضي الواسعة التّي كانت ترتحل وتتنقل فيها فروع وقبائل بني حبيب تشمل منطقة الغرب الأوسط بدءا من الشّلف إلى تلمسان وإلى غايّة جبال مديونة. فمغراوة كانوا رحلا أحراراً ينتقلون بخيامهم من مكان إلى آخر بحريّة وبسرعة أحيانا. ولما جاء الإسلام بادروا إلى اعتناقه. وقام أميرهم: «ابن ويزمر " بزيارة المدينة المنورة في عهد خلافة عثمان بن عفّان الذي أكرم وفادته، وثبت مشيخته على رأس قبيلته ومناطق النّفوذ التّابعة لها غير أن هناك روايّة أخرى تذكر بأنّ شيخ القبيلة المذكور وقع أسيرا في إحدى المعارك التّي نشبت بين البرابرة والعرب الفاتحين الحاملين لرسالة الإسلام. وبعد مثوله أمام الخليفة عفا عنه وأكرمه، مما جعله يعتنق الإسلام، ويعمل على نشره بين قبائل مغراوة، بعد أن ثبتت مشيخته من قبل الخليفة. وقد بقيت قبائل مغراوة وفيّة بولائها للخلافة الإسلاميّة بالمشرق العربي إلى أن دخل الهلاليّون أراضيهم في القرن الخامس الهجري. وابتداء من هذه الفترة أخذ بنو بوسعيد نصيبهم من الصراعات الداخليّة التّي شهدتها منطقة المغرب الأوسط. وقد أدوا أدواراً فعالة في معارك تلك الصراعات التّي يصعب حصرها وتحديدها... وفي سنة 771 هـ هاجر أحد أبناء السّلطان علي بن راشد إلى جبال بني بوسعيد. وفي هذه المرحلة التّاريخيّة قام السّكان البرابرة في المنطقة باضطراب وتمرّد على السّلطان عبد العزيز، غير أنّ هذا العصيان انتهى باحتلال المناطق الاستراتيجيّة لقبيلة بني بوسعيد (محمداوي، 2016).

يذكر أيضا أنّه في عهد السّيطرة الرومانيّة قامت فئة مسيحيّة بتأسيس إقامة لها في المنطقة المعدنيّة المعروفة بـ " معدن غار روبّان " وذلك تحت إشراف الرّاهب المعروف باسم " لبلق الفرطاس " وهذا بالقرب من مدينة وجدة (المنطقة حاليّاً محاذيّة للحدود الجزائريّة المغربية). وبعد الاجتياح الهلاليّ كان بنو بوسعيد يدفعون الضرائب للغزاة المستولين على المنطقة بالتّتابع، من عرب وإسبان وأتراك وفرنسيّين. فعندما كانوا تابعين لنفوذ الإسبان كانوا يدفعون لهم الضرائب بوهران، إلى أن جاء السّلطان أبو عافيّة من المغرب والذي أزاحَ الإسبان من البلاد. ثم جاء السّلطان الدرقاوي من الشّرق، وأزاح هو بدوره نفوذ أبي عافيّة من المنطقة. وبعد دخول الأتراك واستيلائهم على المنطقة. بنو بوسعيد أصبحوا تابعين لإدارة باي وهران. وبقي الحال كذلك إلى حين مجيء الاحتلال الفرنسي، حيث أبدى سكان بني بوسعيد بعض المقاومة إلى أن تم استسلامهم بشكل نهائي في شهر أكتوبر سنة 1845 لقوّة الاحتلال الفرنسي بالمنطقة والتّي كان يقودها الجنرال " كافينيك Cavaîngnac " الذي قدم من منطقة " بيدو ". وقد أصبحت منطقة بني بوسعيد تابعة إدارياً لدائرة مغنيّة بموجب القرار المؤرخ في 17- 02- 1858 وسكان بنو بوسعيد كان يبلغ عددهم حسب إحصاء سنة 1931 كالآتي: الأوروبيون: 210 والسّكان الأصليين عددهم: 3476 ويكون مجموع السّكان هو: 3686 نسمة (محمداوي، 2016).

3. الخصائص اللسانيّة للمنطوق الأمازيغيّ

بالنّسبة لسكان بني سنوس، فهم يتقنون العربية، رغم تمسكهم بالتّقاليّد وعادات أمازيغيّة وأسماء القرى والأماكن والجبال، بالإضافة إلى الأمازيغيّة التّي كان يتحدث بها سكان القرى التّاليّة: بني زداز، بني عشير أولاد عربي ومازر، الكاف وبوحلو. وهي تتكون من عدة لهجات متداخلة، فلهجة القادمين من سوس أو من القبائل تعتبر عند بني سنوس غير مفهومة، والعكس مع الذين قدموا من فقيق، بني إزناسن وآزكرى، فهم يتحاورون فيما بينهم دون إيجاد صعوبة كبيرة، أما لهجة بني بوسعيد فهي التّي تقرب كثيراً منطوق بني سنوس حيث أن سكان المنطقتين يتحدثون مع بعضهم البعض بسهولة تامة (ابن باجي، 2008- 2009).

ولكن الأمازيغيّة عند السّنوسيين في الوقت الحاليّ فهي في طريق الاندثار حيث لا نجد بعض الألفاظ والعبارات إلا عند الشّيوخ والنّساء، ونجد بعض هذه الألفاظ مستعملة في اللّهجة الأمازيغيّة الرسميّة الحاليّة. مثل: أمان (aman) وهو الماء، أيسوم (aysoum) وهو اللّحم، وأغروم (aroum) أي الخبز وبعض أسماء الأماكن والجبال: تافرنت، تاقليعت، مزوغن، أجدير، تيمقرست، تيطاوين وتيصافين وتغانيمت...

وما تتميّز به المنطقة كونها منطقة أمازيغيّة ناطقة بالشّلحة إضافة إلى العربيّة الدارجة، وما يمكن تسجيله أن اللهجة الأمازيغيّة المحليّة في بني بوسعيد لا تستعمل إلا عند طبقة الشّيوخ في وقتنا الحاضر وتنحصر جغرافيا في حدود مغنية، وسيدي الجيلاليّ على الشّريط الحدودي، الزوية، روبان، والكاف ببلديّة سيدي مجاهد وكذا منطقة بني زيداز ببلديّة بني سنوس، وهي لهجة واحدة ومتشابهة بين هؤلاء السّكان (أوحساين 2006- 2008).

تعتبر هذه اللهجة الأمازيغيّة امتداداً للهجة "شلوح" بني زناسن المغربيّة نواحي وجدة[1] ، كما توجد بعض الروايات تتداول على السّنة سكان بني بوسعيد، تثبت انتماء لهجتهم إلى اللهجة المغربيّة (الشّلحة)[2].

إذن لهجة بني بوسعيد لهجة أمازيغية، من اللهجات الزناتيّة التّي تختلف عن سائر اللهجات البربريّة الأخرى وتعود في أصلها إلى السّامية، لما لها من خصائص مشتركة مع اللغة العربيّة (بن عميرة، 1984).

تتميّز قبائل بني سنوس وبني بوسعيد بطابع الانفراد والاستقلاليّة في ربوع عرشها وبطون أهلها، أمّا إذا ابتعدت عن بيوتها ومناطقها، فإنها تتّحد مع لهجات عربيّة أخرى. فيرجع الفضل في تعريب المناطق الأمازيغيّة إلى تلك الهجرات والحملات العربيّة المتعددة ومن بينها الهجرة الهلاليّة التّي عملت على تعريب هذه المناطق وهذا ما أكده مصطفى ضيف بقوله: "إن الهجرات الهلاليّة عملت على تعريب القبائل البربرية" (أبو ضيف)

من خصائص القبائل البربريّة أنها تحافظ على لهجات لغتها البربريّة كوسيلة للتداول اليّومي إلى جانب اللغة العربية، لغة الدين والعلم والثّقافة،

وهذا ما لمسناه عند أهاليّ بني بوسعيد الذين تبنّوا اللهجة الأمازيغيّة في تداولهم اليّومي.

4. من عادات وطقوس المنطقة:

1.4 النّفقة: يوجد يوم من أيام الأسبوع، يسبق النّفقة يدعى التّسويقة، حيث تباع فيها المواشي من أغنام وماعز وأبقار فيشترون الشّاة ويذبحونها ثم يقسمونها بطريقة تقليدية. وتختلف النّفقة عن التّوزيعة، ويشترك فيها خمسة إلى ستة أفراد في الشّاة الواحدة، ويقتسمونها فيما بينهم ثم يبيعون الجلد والرأس والأحشاء (بالعاميّة المحليّة الدوارة) لأنها غير قابلة للتقسيم (ابن باجي، 2008- 2009).

تتعدد مناسبات النّفقة، فهي مرتبطة بدرجة كبيرة بالأعياد الدينية: عاشوراء، أول محرم، والمولود (أي المولد النّبوي الشّريف)، في اليّوم السّادس والعشرين من شهر رجب الموافق لذكرى الإسراء والمعراج، ونصف شهر شعبان، وشهر شعبان، وشهر رمضان المعظم بنفقتين في الخامس عشر، والسّابع والعشرين منه أي ليلة القدر المباركة، وفي رسوم الوقوف بعرفات، والنّاير (ابن باجي، 2008- 2009).

2.4 المولد النّبوي الشّريف (سيد المولود): يحتفل سكان بني سنوس وبني بوسعيد بالمولد النّبوي الشّريف، من 12 إلى18 ربيع الأول حسب التّقويم الهجري وذلك طوال الأسبوع، دون كلل أو ملل، فتقوم النّساء في اليّوم الأول بطبخ المأكولات خاصة: "تاقنتة" (وهي خليط من الدقيق والزيت).

وفي اليّوم الموالي يقمن بزيارة المقابر والأولياء الصالحين، وفي المساء يقمن بالغناء والرقص، وهنّ يرددن أناشيد دينيّة شعبية، ويقمن بتوشيم أوجه وأيدي أطفالهن باستخدام الحنة (Destaing, 1906)، ومن أقوالهن:

يَا فَاطْمَة لاَ تْرُقْدِي حَلِّي البَابْ وَصَنْتِي
لِيلَة يَزَادْ النّبي
صَلىَ اللّه عَلَى نَبِينَا يَشْفَع فِينَا
يَامْنَه وَلْدَتْ وَحْلِيمَه رَبَاتْ
المُولُودْ سِيدِي مُحَمَدْ

يَا فَاطْمَة لاَ تْرُقْدِي حَلِّي البَابْ وَصَنْتِي (بن عيسى، 2003/2002)

3.4 عارفة:

أ. عارفة عرفات: تخلد عارفة في التّاسع من ذي الحجة، حيث تتجمع فتيات القرية(عريفات) دون البلوغ يطفن حول منازل القريّة لجمع بعض المأكولات المحليّة ويصطلح عليها أيضا ب **"طليب عارفة"**، فيوزعنّ الفتيات في اليّوم الأخير حبات الشّعير أو القليل منه على كل بيت في القرية، ليقدموه لأضحيّة العيد (الكبش) في المساء، مع وضع الحنة على رأسه.

ومن الأغاني التّي يرددنها العريفات[3]:

عَارَفَه مْبَارْكَه مَيْمُونَه عَارْفَهَ
أَعْطِينِي شْوَيَّه وَلاَ نَمْشِي
مْبَارْكَهَ وَجْدِي فِيكْ مِيمَه
بَرَاهِيمْ أَشْمَايْمُو وَلاَ كْبِيرْ عْمَايْمُوا
وَلاَ الشّيخْ رْبَاعَه أَحَامُو حَامُو

وَلاَ خِيتَكْ وَلاَ مَرْتَكْ اللّه يَعْطِيكْ الخِيرْ فِيكْ مِيمَه

ب. عارفة طلب الغيث: تخرج الفتيات (عريفات) وهنّ يضعن على وجوههن مساحيق العروسات في مواكب جماعيّة أيام الجفاف لطلب الغيث، وهن يطفن بالشّوارع ويرددن أهازيج شعريّة كلها توسلات إلى اللّه لرحمة الأرض بالمطر (بن عيسى، 2003/2002). وإذا سالتّهم ماذا يفعلن يرددن جميعا مصطلح **"نطلب النّو"** وهن يقلن:

يَا نُو صَبِي صَبِي
مَا تْصَبِيشْ عْلَيَا
حَتَى يْجِي خُويَا حَمُو
وَيْغَطِينِي بَالزَّرْبِيَه[4]

4.4 الوعدة: تقام الوعدة أساسا لتكريم الصالحين، والتّقرب إلى اللّه عز وجل، وتتكرر العادة في العام مرتين أو ثلاث، وأعظمها **"وَعْدَة الشّيخْ السّنُوسِي"** على الرغم من وجود ضريحه بتلمسان وهي تقام سنويا في قريّة الفحص. وكذلك **"وَعْدَة تَافْرَنْتْ"** التّي تقام بالتّنسيق بين قريتي بني عشير، وبني زداز، ويتناول فيها الكسكس واللّحم ويرفع الكبير والصغير أكف الضراعة إلى اللّه عزّ وجل أن يسقي البلاد والعباد، وأن يرفع من البلاد البلاء النّازل، ويشفي المرضى، ويرحم الموتى والدعاء لصالح الأمة الإسلاميّة (بن عيسى، 2003/2002).

5.4 عادة التّزويقة (ختم القرآن): يطوف حفظة القرآن الكريم بمعيّة شيوخهم على المنازل لجمع الهدايا بمناسبة حفظ القرآن، ما يكفي لسد حاجات الطلبة المسافرين لعدة أيام، وهم يرتدون ثيابا بيضاء وعلى رؤوسهم طاقيات (قبعات)، مرددين في تجوالهم مدائح دينيّة (بن عيسى، 2003/2002).

مما يقولونه:

بَيْضَه بِيضَه بِيضْتِي
بَاشْ نْزَوَّقْ لُوحْتِي
لُوحْتِي عَنْدْ الطَّالَبْ
وَالطَّالَبْ فالْجَنَّه
وَالجَنَّه مَحْلُولَه
حَلْهَا مُولاَنَا
مُولاَنَا وَصْحَابُو فالْجَنَّه يَنْصَابُو
اللّهُمَّ آمِين[5].

6.4 التّجارة والصناعة التّقليديّة: عاش سكان المنطقتين في أمن وعافية، وكانوا يتاجرون فيما بينهم وبين المناطق المجاورة كباب بني سنوس بتلمسان، والمغرب الأقصى، وكانت تتعامل أيضا مع شارع بني سنوس الموجود في إسبانيا (ابن باجي، 2008- 2009).

كانت ظروف التّنقل في تلك الفترة جد شاقة فكانوا يحملون أمتعتهم على ظهر الحصان، أو الحمار، أو البغل ويعبرون طرقاً صعبة وسط الجبال والغابات "كرأس عصفور «المملوء بالحجر، وكانت تصدر بعض منتجاتها الغذائيّة ومصنوعاتها التّقليديّة (بن عيسى، 2003/2002).

من الحرف المعروفة لدى أهل المنطقة صناعة الحصير، الذي يستعمل فراشا" أرضيا أو لتزيين

جدران المنازل والمساجد، وموارده الأوليّة متوفرة في المنطقة من الحلفاء، والليف الذي يستخرج من نبات الدوم كما امتهن سكان القرى حرفا كثيرة، فاستخدموا الطين لصنع بعض اللوازم المنزليّة كمقلاة الخبز(الطّجين)، والموقد(المجمر) والقدر(القبوش). واستعانوا بالخشب لصنع بعض الأواني الخشبيّة كالقصعة لفتل الطعام، والمترد (عبارة عن صحن كبير يوضع فيه الطعام وخاصة الكسكس)، والملاعق الخشبيّة (ابن باجي، 2008- 2009).

واستعمل الخشب كذلك لصنع بعض الآلات الخشبيّة كالمحراث الخشبي(لعود) واستعملت الحلفاء لصناعة الشّواري، وآغدو، والكسكاس، والأطباق والنّعال، وبوصيار[6] والمناكيش، كما اشتهرت المنطقة ببعض الحرف كصناعة "السّروال العربي" وبعض الحلي. كما نجد بعض الصناعات التّحويليّة: كصناعة الزيت، في المعاصر التّقليديّة (رحى)، وكان إسهام المرأة مهمّا في الصناعات التّقليدية، إذ أنهن يضعن أقلال للكسكس من الحلفاء أو الدّوم، والحصير، والقفف لوضع الخبز، والأواني الفخاريّة (ابن باجي، 2008- 2009).

7.4 الألعاب التّقليديّة: كانت الألعاب مختلفة جدا، حيث نجد لعبة الكرة بالعصي، ثم لعبة تدعى (سرجتو) ثم ركوب الخيل، وهذا يجري بالخصوص خلال الأعراس والولائم...إضافة إلى ذلك نجد لعبة المربعات (الشّطرنج) ولعبة (السّيك) (تاحفرين) و(آمعيزا)...الخ (مزيان ، 2004/2003).

8.4 موسم الزرع والحصاد: كان حرث الأرض قديما يتم بطرق تقليدية، فقد كانت هناك أراضي بوريّة وخاصة البعيدة عن منابع المياه وتعتمد على الأمطار فقط.

وخلال فترة الجفاف، كانت تقام ظاهرة "غونجة" وظيفتها الأساسيّة طلب الغيث، وهي لا تختلف عن الاستسقاء إلا من حيث المصدر باعتبار أن هذا الأخير مصدره ديني بحت.

أما (غونجة) فهو اسم يطلق على تمثال يأخذ شكلا عموديا يكسى بثوب يزينه فيصبح دميّة وكأنها عروس تحملها امرأة مسنّة على رأس قصبة ويتبعها الأطفال في موكب، فيطوفون بالمنازل ويجمعون العطاءات يتخلّل هذا الطواف عبارات على شكل أدعية، وينتهي الطواف باللجوء إلى ضريح من الأضرحة أو كتّاب من الكتاتيب الموجودة بالمداشر حيث يهيّأ طعام من العطاءات التّي جمعت، فيأكل الجميع ويختم الحفل بالدعاء إلى الله طلبا للمطر، إن هذه العادة (غونجة) قد اندثرت تقريبا في أغلب المناطق، لكن من جهة اللفظ بقي حاضرا وكثيرا ما يردّد أثناء فترات الجفاف (مزيان ، 2004/2003).

9.4 الرمز الأمازيغي في احتفاليّة النّاير بمنطقة بني سّنوس:

أ) **النّايــر:** تحتفل بني سنوس بثلاثة مواعد لإحياء ثلاث غرر لسنوات جديدة: فالاحتفال بالسّنة الهجريّة في أول محرم(التّقويم الهجري)، والاحتفال بالسّنة الميلاديّة الذي يوافق 01 جانفي (التّقويم الغريغوري)، ثم الاحتفال بغرة السّنة البربرية(النّاير) في 12 جانفي (التّقويم البربري)؛ فسنة: 2019 ميلادية، توافق سنة 1440 هجريّة وتوافق 2969 بربرية، إن التّقويم الأمازيغي تقويم مبني على التّقويم الشّمسي، عكس التّقويم العربي المبني على التّاريخ القمري، و يمتد التّقويم البربري على مدى إثني عشر شهرا مجزأة إلى فترات تختلف حسب الظروف المناخية، و كذا الغطاء النّباتي الطبيعي الذي يكسو الأرض (بن عيسى، 2003/2002).

النّاير هو عمود السّنة أو بابها وهو اليّوم الذي يرمز إلى الفصل بين مرحلتين:

مرحلة الليالي السّوداء (اللّيالي الكوحل)، وهي مرحلة الصّقيع والجمود والجوع، ومرحلة الليالي البيضاء (اللّيالي البويض) وهي مرحلة الجو المعتدل والجميل، ومن الأقوال المأثورة في النّاير: (بن عيسى، 2003/2002)

إِذَا جَـــــاكْ النّايَـــــــرْ

ارْمِي لَـفْتَكْ مَعَ الحْدَايَر[7]

وقولهم كذلك:

فالنّايرْ اقلعْ اللّفتْ واغْرسْ البحايرْ[8]

ب)**الاحتفاليّة برأس السّنة الأمازيغيّة (آيراد):** حسب اعتقاد أمازيغ المنطقة أن معركة دارت رحاها في منطقة بني سنوس، بأحد المرتفعات الجبليّة بين قريتي: بني زداز، وبني عشير(جبل فرعون) حيث تحتفل جميع قرى المنطقة وتقيم سنويا كرنفال(آيراد) في الفترة الممتدة من الثّالثّ عشر يناير من كل سنة وتعني كلمة آيراد، الأسد ربما مقارنة قوة ملكهم الأمازيغي وسلطانه بسلطان الغابة الأسد.

ففي كل مساء وطيلة أسبوع كامل وبعد صلاة العشاء ترى فوجا مؤلفا من خمسة عشر شابا، مختلفة أعمارهم يتنكرون في هيئات تمثل حيوانات من أسد ولبؤة وأشبال، فيمثل أكبرهم سنا الأسد وهو الذي يتولى قيادة المجموعة فيتنكرون بما يرتدونه من ألبسة باليّة وأغلبها جلود الكباش أو الماعز ملتحين لحيّة مصطنعة طويلة بيضاء للناظرين، وحول رقابهم سبحة طويلة من أصداف الحلزون الجوفاء تحدث حسيسا متميزا إذا ما تحركوا، أو رقصوا أو غنوا أمام كل منزل، تحت أضواء مشاعل عظيمة من البوص (وهي قصبة تنبث وسط نبتة معروفة في النّاحيّة تسمى الدّيس)، وأينما حلوا فأطفال القريّة يلتفون حولهم وهم يرددون على أهازيجهم بأهازيج أخرى (لمقامي، 2005):

رانا جيناكم حلو بيبانكم ايراد ايراد

شب لا لاك شب لا لاك عطيني تشيشة بن يديك

راحْنا جيناكمْ حُلو بيبَانكم - يا لقمْرة لالة في غيامك وليْ

وبعد كل مشهد يتبرع عليهم السّكان بهدايا من الحلوى والجوز واللوز والتّين الجاف والتّريد، الذي يعد خصيصا لمناسبة **"النّاير"** (لمقامي، 2005)

ويتزامن مع تنظيم هذا الاحتفال تنظيم السّوق الأسبوعيّة والتّي تباع بها مختلف الأنواع من الفواكه الجافة، والتّي ذكرناها آنفا، وتملأ هذه الفواكه في أكياس تعرف عند السّكان المحليين بالمزود (زوادة) (بن عيسى، 2003/2002).

وتقوم ربات البيوت بتحضير عدة مأكولات شعبيّة للمناسبة: التّريد والمسمن وخرينقو، ويتم بالمناسبة تحضير الشّرشم وهو قمح مهشم، وكذلك الكسكس والبركوكس، ويشترط في تحضير هذه الأطباق أن تطهى على نار الحطب وفي أواني من الطين (ابن باجي، 2008- 2009).

تكون بيوت أهل بني سنوس طيلة ثلاثة أيام أبوابا مفتوحة للضيافة والاطلاع على تقاليّد المنطقة، حيث تعرض النّسوة خلال هذه الفترة مصنوعاتهن وحرفهن التّقليديّة كصناعة الحصير والزرابي.

وقبائل بني سنوس تعطي للاحتفال بآيراد أهميّة بالغة، تصل إلى حد تهميش كل من يحتفل بهذه الشّعيرة التّقليديّة ويعطيها حقها، حيث أن هذا الاحتفال يعدّ أحد مقومات قبائل بني سنوس.

5. خاتمة: يبقى التّراث تراكم وخبرة الإنسان مع محيطه، محيطا يضم الإنسان الآخر فردا كان أم جماعة، فالتّراث هو تاريخ الإنسان في الماضي وعيشه في الحاضر واطلالتّه على المستقبل، أما التّراث التّقافي اللامادي فهو الممتلكات والكنوز التّي تركها الأولون نستمد من خلالها جذورنا وأصالتّنا للحفاظ على هويتنا، وما الممارسات التّقافيّة والاجتماعيّة لمنطقة تلمسان إلا نموذجا على هذا الإرث العربي الأمازيغي الذي أعطى بعداً تاريخيا وحضاريا وجد فيه أبناء المنطقة هويتهم لغويّة كانت أم تاريخية، فالفرد الفاقد لهويته فاقد لمعنى وجوده، فكيف له أن يصنع مستقبله.

ومهما يكن من أمر فإننا نستنتج أن:

-يتكلم أهاليّ بني بوسعيد اللهجة الأمازيغيّة (الشّلحة)، خاصة داخل الأسرة، وهو أمر عاطفي أكثر منه عقلاني، فلا عربيّة في الجزائر دون أمازيغيّة ولا أمازيغيّة بدون عربية، وعلى إثر هذا وجدنا الأمازيغيّة لا تزال تتعايش مع باقي اللهجات والتّقافات العربيّة المجاورة.

-يتخاطب أهاليّ بني سنوس وبني بوسعيد وخاصة طبقة الشّيوخ باللهجة الأمازيغيّة (الشّلحة) بحيث تتشابه مع اللغة العربيّة في النّطق ومخارج الحروف (حتى أن جميع مخارج الحروف العربيّة موجودة في هذه اللهجة.

-يمكننا الجزم بأن العائلات في منطقتي بني سنوس وبني بوسعيد قد تعرّضت لتطورات اجتماعيّة وثقافيّة واقتصاديّة عميقة أكسبتها عادات وتقاليّد جديدة وفق الزمن المتجدّد والطرح

المعاصر، غير أن هذه المستجدّات والتّطورات المتغيرة ظلّت عاجزة أن تذوّب بعض المظاهر الثّقافيّة المحليّة والمتمثلة في العادات والتّقاليّد والطقوس المتجذرة في بعض العائلات المحافظة والأصيلة.

-ومهما يكن من أمر ورغم تصدّي الكثير من العائلات لتيّار التّغيير الثّقافي، فإننا نرى أن بعض العادات والتّقاليّد والطقوس بدأت في الاندثار والذوبان، وهذا نتيجة التّغيير السّريع في أنماط الحياة المعاصرة، وهذا ما أصبح يؤثّر بشكل واضح في الثّقافة الشّعبيّة المحلية.

-وفي الأخير لا بد أن تكون لدى الدارسين والباحثين خُطة استراتيجيّة لإنقاذ هذا التّراث عامة، والتّراث الثّقافي اللامادي بصفة خاصة، من خطر ومغبة النّسيان والزوال، واعادة دراسته وتحليله، وقياسه وتفسيره، كما تدرس حاضر الظواهر الثّقافيّة وليس ماضيها، إذا أردنا بقاء هذا التّراث بيننا، وحفاظا على الذاكرة الجمعية.

6. قائمة المراجع:

1. حمداوي محمد، البنيات الأسريّة ومتطلباتها الوظيفيّة في منطقة بني سنوس، في النّصف الأول من القرن العشرين(قرى العزايل نموذجا)، (جامعة وهران :أطروحة دكتوراه، 2005)، ص .130

2. المرجع نفسه.

3. عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،(بيروت :دار الكتب العلمية، 1992)، ص .134

4. ألفرد بل، بني سنوس و مساجدها في بدايّة القرن(20م)، تر. محمد حمداوي (وهران :دار الغرب للنشر والتّوزيع، 2001)، ص 50- 51.

5. المرجع نفسه، ص 51.

6. حمداوي محمد، المرجع السّابق، ص .133

7. المرجع نفسه

8. خديجة محمداوي، (رجال خالدون) دراسة تاريخية، الجزائر: دار الأوطان، 2016، ص 12، 13.

9. المرجع نفسه .

10. أمينة ابن باجي، منطوق بني سنوس الأمازيغي، (جامعة تلمسان: مذكرة ماجستير (مخطوط)، (2008-2009)، ص .42

11. الطاهر أوحساين، تاريخ بني بوسعيد، سلسلة محاضرات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان : معهد الثّقافة الشّعبية.

12. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي .الجزائر :المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1964، ص 24.

13. مصطفى أبو ضيف، القبائل العربيّة في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، ص 63.

14. أمينة ابن باجي، المرجع السّابق، ص.42

15. المرجع نفسه.

16. Destaing, E. Fête et coutumes saisonnières chez mes Beni Snous. Revue Africaine, Vol 50, (1906), pp 362-373.

17. عبد الكريم بن عيسى، الملامح المسرحيّة في احتفاليّة آيراد بمنطقة بني سنوس (مخطوط)، جامعة تلمسان :رسالة ماجستير، 2003/2002، ص 43.

18. المرجع نفسه.

19. المرجع نفسه، ص .44

20. المرجع نفسه.

21. أمينة ابن باجي، المرجع السّابق، .47

21. عبد الكريم بن عيسى، المرجع السّابق، ص 41

22. أمينة ابن باجي، المرجع السّابق، ص 48.

23. المرجع نفسه.

24. عبد الله مزيان، الأبعاد التّربويّة في عادات وتقاليّد أهاليّ مغنيّة ونواحيها، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، معهد الثّقافة الشّعبيّة :رسالة ماجستير في الأنثربولوجيا (مخطوط)، 2004/2003، ص 25

25. المرجع نفسه، ص .26

26. عبد الكريم بن عيسى، المرجع السّابق، ص .46

27. المرجع نفسه.

26. محمد لمقامي، رجال الخفاء، (مذكرات ضابط في وزارة التّسليح والاتصالات العامة) ترجمة: علي الربيب، الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، 2005، ص 11/.12

27. المرجع نفسه. ص .12

28. عبد الكريم بن عيسى، المرجع السّابق، ص .47

29. أمينة ابن باجي، المرجع السّابق، ص 50.

30. المرجع نفسه.

7. **ملاحق:**

ملحق بالألفاظ الأمازيغيّة :

اللفظ في لهجة بني بوسعيد/بني سنوس	اللفظ العربي الفصيح
موشْ	القط
أغرضا	الفأر
أيدي	الكلب
إيقتتاي	الأرانب
أغيلاس	النّمر
أيراد	الأسد
إيفيس	الضبع
تسْكورْثْ	الحمامة
أوشَن	الذئب
تافُوناسْت	البقرة
أغيُولْ	الحمار
تغاطْ	الجدي
أبكْري	الكبش
تيازيط	الدجاجة
أسْلمْت	الحوت
ييس	الفرس
أسرْدون	البغل
حاقول	الديك
إنيسي	القنفد
إلف	الخنزير
أغلالْ	الحلزون

8. هوامش:

(1) ذكر العلامة ابن خلدون أن البرابرة كانوا مستقرّين بإفريقيا والمغرب، بقوله : "ومن استقرّ منهم بإفريقيا والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه، إذ كانوا برابرة منغمسين في البداوة...." ينظر : ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص ....

(2) من بينها رواية السيد مكي ق. (شيخ من بني بوسعيد) حيث يثبت أنها من الشلحة (لهجة مغربية أتت عن طريق المصاهرة)؛ وذلك لكثرة رحلات السلاف إلى هذه الأماكن، وكذلك السيد بن دحو أحمد (72 سنة) حيث يقول : "إن اللهجة الأمازغية المتداولة اليوم، هي قريبة جدا من الشلحة؛ لهجة بني زناسن بالمغرب حيث لاحظ هذا التشابه أثناء هجرته إلى هناك".

(3) منقولة عن طريق السماع ، من الذاكرة الشعبية.

(4) منقولة عن طريق السماع ، من الذاكرة الشعبية.

(5) منقولة عن طريق السماع ، من الذاكرة الشعبية.

(6) بوصيار: لفظ عامي يطلق على أداة منزلية يدوية، مصنوعة من إطار خشبي وشباك رقيق وغليظ نوعا ما يستعمل لتقنية وتصفية الدقيق من الشوائب.

(7) ارشاد فلاحي، ينصح الفلاح بجني اللفت قبل الليالي البيضاء لأنها تفسد المنتوج.

(8) في شهر يناير أحفر اللفت وأزرع الأرض بالخضر الوجهة للاستهلاك في الصيف والخريف.